﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: 67 - 68]

❁ مُناسَبَة الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهما:

بعد بيان الأحداث يقع الاعتبارُ وتعظُمُ المِنَّة

لمّا قام عُذرُ موسى عليه السلام فيما استدفعه أوّل القِصَّة من كيد فرعون بما ثبت له من العظمة والمُكنة في كثرة الجند وعظيم الطّاعة منهم له في سرعة الاجتماع الدّالّة على مُكنتهم في أنفسهم، وعظمته في قلوبهم، رغبةً ورهبةً، وظهر مجدُ الله في تحقيق ما وعد به سُبحانه من الحراسة، وزاد ما أقرَّ به العيون، وشرح به الصُّدور، وكان ذلك أمرًا يَهُزُّ القوى سماعُه، ويروع الأسماعَ تصوُّرُه وذِكْرُه، قال مُنبِّهًا على ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفرَدات:

1) ﴿لَآيَةً﴾: الآيةُ: العلامةُ الظّاهرةُ، والعِبْرَةُ، وأصلُ آيةٍ أَأْيَةٌ بِوَزْنِ أَعْيَةٍ، مهموز هَمزَتَيْن، فخُفِّفتِ الأخيرةُ فامتدَّتْ، وآيةُ الرَّجُلِ: شَخْصُه، تقول: تَأَيَّيْتُهُ، إذا قصدتَ آيَتَهُ وتَعَمَّدْتَهُ، وهذه آيةٌ مَأياةٌ، كقولِك: عَلامةٌ مَعْلَمَةٌ، وإيايَةُ الشَّمسِ: ضَوْءُها، وهو من ذاك؛ لأنَّه كالعلامةِ لها، وقيلَ للبناءِ العالي آية، نحو قولِه تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشُّعراء: 128].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي: علامةً عظيمةً لا توصَف، وقد عاينَها النّاسُ وشاعَ أمرُها فيهم[2].

2) ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: (عزّ) أَصلٌ صَحيحٌ واحِدٌ، يدلُّ على شدَّةٍ وقوَّةٍ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 45.
(2) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 115.

وما ضاهاهُما مِنْ غَلَبَةٍ وقَهْرٍ[1]، ويدلّ على تماسُكِ الجِرم الرِّخْو حتّى يَبلُغ الشِّدَّةَ والصَّلابة التامَّة، عزَّ يَعِزُّ عِزًّا وعَزازةً فهو عَزيزٌ؛ أي: قويٌّ، وأَعزَّه اللّه، قالَ تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14]، أي: قوَّينا وشَدَّدْنا، والعِزَّةُ: حالةٌ مانعةٌ للإنسانِ من أن يُغلَب، من قولِهم أرضٌ عَزازٌ، أي: صُلْبةٌ، قالَ تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النّساء: 139]، والعزيزُ: الَّذي يَقْهَرُ ولا يُقْهَر[2]، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فهو المنتقمُ من أعدائه، الرَّحيمُ بأوليائه[3].

❁ المعنَى الإجْماليّ:

مع عظمةِ آيةِ فلْقِ البَحرِ ما آمنَ أكثرُ النّاس

يُشيرُ النَّظمُ القرآنيُّ إلى ما تقدَّمَ ذكرُه ممّا صدرَ بين موسى وفرعون إلى هذه الغاية، ففي ذلك آيةٌ عظيمةٌ وحُجَّةٌ قاطعةٌ وحكمةٌ بالِغةٌ دالَّةٌ على قدرةِ اللّهِ تعالى وعظيم سلطانه، وما تنبَّه إليها أكثرُ من شاهد هذه الآيات ولا آمنَ باللّه[4]، ثُمَّ إنَّه تعالى كان عزيزًا قادرًا على أن يُهلِكَهم، فما أهلَكَهم بل أفاض عليهم أنواع رحمته فدلَّ ذلك على كمال رَحمته و سعة جوده و فضله[5].

❁ الإيضاح اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

بلاغة الاستئناف البيانيّ:

الإشـــارة إلى مـواطـن الـعـبرة والـعـظـة من القَصَصِ القرآنيّ

لمّا كان الحديثُ عن انفلاق البحر لموسى عليه السلام، ونجاته، وغرق فرعون، وتلك آيةٌ من أكبر دلائل قدرته سُبحانه، فهي جَديرةٌ بتسجيلها والإشارة إليها، أي: إنَّ في ذلك الذي قصصناه عليك - أيُّها الرَّسول الكريم - من قِصَّة موسى وفرعون، لَآيَةً عظيمةً تدعو

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عزّ).
(2) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (عزز).
(3) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 116.
(4) الزّمخشري، الكشّاف: 3/ 115 - 116، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 137.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 509.

إلى إخلاص العبادة والطّاعة لنا، فالجُملة استئنافٌ بيانيٌّ فيه إشارةٌ إلى مواطن العبرة والعظة من القَصَصِ القرآنيِّ[1].

غرضُ تقديم الجارّ والمجرور:

الاهتمامُ بالمُقدَّم المُـشـار إلـيـه، والتَّشويق إلى المؤخَّر

قُدِّم الجارُّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ للاهتمام بالمُقدَّم المُشار إليه وتشويقًا إلى المُؤَخَّر اللّازم من العِبرة بعد معرفة ما وقع والإيمان به، فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في جميع ما فصَّل مِمّا صدر عن موسى ﷺ وظهر على يديه من المُعجزات القاهرة، ومِمّا فعل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال، وما فُعل به وبجنوده من العذاب والنَّكال[2].

بلاغةُ استعمال اسم الإشارة للبعيد:

تـعـظـيـمُ نـجـاةِ مـوسى وتـهـويـلُ غرقِ فرعون

في اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ من معنى البُعْدِ ما يُهوِّل أمرَ المُشار إليه، وذلك بتعظيم أمر نجاة موسى ومن معه، وتهويل أمر إغراق فرعون وجنوده، أي الأمر العظيم العالي الرُّتبة من قصَّة موسى وفرعون وما فيها من العظات، أو إنَّ فيما فُصِّل من القصَّةِ من حيثُ حكايتُه ﷺ إيّاها على ما هي عليه من غير أن يسمعها من أحدٍ لآيَةً عظيمةً دالَّةً على أنَّ ذلك بطريقِ الوحي الصّادقِ موجِبةً للإيمانِ باللّه تعالى وحْدَهُ وطاعةِ رسولِه ﷺ[3].

معنى اللّامِ في اسم ﴿إِنَّ﴾ ودلالتُه:

الـتَّـأكـيـدُ على عِـظَـمِ المُعجزة بقصد الـتّـدبُّـر والتَّأمُّل

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَآيَةً﴾ للتَّوكيد، أي: إنَّها مُعجزةٌ خارقةٌ للعادة، وعبرةٌ تدلُّ على عظمة اللّه تعالى وقدرته ووحدانيّته وتوجب الإيمان به، وتدلُّ على صِدْقِ رسالة موسى ﷺ؛ وهي آيةٌ لموسى ولقومه ولكلِّ مُؤمن يقرأ كتابَ اللّه تعالى[4].

(1) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 10/ 252، والصّافي، الجدول في إعراب القرآن: 19/ 80.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 246، وابن عجيبة، البحر المديد: 5/ 165.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 45، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 246.
(4) العثيمين، تفسير سورة الشُّعراء، ص: 146.

غرضُ تنكير ﴿لَآيَةً﴾:

تعظيمُ شأنِ هذه الآيةِ العجيبةِ وتفخيمُ أمرِها

نُكِّر لفظُ (آية) في قوله تعالى: ﴿لَآيَةً﴾ للتَّعظيم أي: (أيَّة آية)، أو: آيةٌ عظيمةٌ لا تكاد توصف، موجبةٌ لأن يَعتَبِر بها المُعتَبِرون، ويقيسوا شأن النَّبيّ عليه الصَّلاة و السَّلام بشأن موسى ﷺ، وحالَ أنفسهم بحال أولئك المُهلَكين، فيجتنبوا تعاطيَ ما كانوا يتعاطَونَه من الكفر والمعاصي ومُخالَفة الرَّسول، ويؤمنوا باللّه تعالى، ويطيعوا رسوله كيلا يحِلَّ بهم مثلُ ما حلّ بأولئك[1]، فالذي حدث في البحر آيةٌ عجيبةٌ من الآيات العظام الدّالّة على قدرة اللّه تعالى؛ لأنَّ أَحَدًا من البشر لا يقدر عليه، وعلى حكمته وكَونِ وقوعه مصلحةً في الدّين والدُّنيا، وعلى صِدْقِ موسى لكونه معجزةً له[2].

دلالةُ التَّعبير بالأكثريَّة:

تسلية النَّبيِّ ﷺ عند عدم إيمانِ قومه

جاء ذكر لفظ (أكثر) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ لبيان أنَّ الإيمان كان من القلَّة القليلة، فتعقيب القول المذكور بكلّ قصّةٍ من هذه القصص يدلُّ على أنَّ المراد بالأكثر هو من لم يؤمن من قوم كُلِّ نبيٍّ من الأنبياء المذكورين، وقد ثبت في غير هذه المواضع أيضًا أنَّ أكثر النّاس مِنْ كُلِّ أمّةٍ هم الكافرون[3]، وفي نفي إيمان الأكثريَّة تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّه قد يغتمُّ بتكذيب قومه مع ظهور المُعجزات عليه، فنبَّهه اللّهُ تعالى بهذا الذِّكر على أنَّ له أُسوةً بموسى وغيره[4].

دلالة التَّعبير بالاسميَّة:

إيثارُ الجُملةِ الاسميَّةِ ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على استِقرارِهم على عدَمِ الإيمانِ، واستِمرارِهم عليه[5]،

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 246.
(2) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 15/ 37.
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 280.
(4) ابن عادل، اللُّباب في علوم الكتاب: 15/ 37.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 246.

ومعنى قوله تعالى: ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: مؤمنين لله، أي: مُتَّصفين بالإيمان الثّابت[1].

معنى الواو ودلالتها:

التَّقابلُ بين المعاني وإظهارُ الفروق بين الدَّلالات

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عطفٌ على ما تقدَّم[2]، فإنّ ما سَبَق ذِكْرُه من كفر الجاحدين واعتداء المجرمين رغم ظهور الآيات البيّنات كما قصّها علينا ربُّ العالمين، وما تبع ذلك من هلاكهم ونصر المؤمنين المستضعفين، دلالةً على أنَّ الله مُتَّصفٌ بالعِزَّة والرَّحمة، فمن عِزَّته أن يُقهر أعداءَه، ومن رحمته أن ينصر أولياءَه، فالتَّعقيبُ بِذِكْرِ عِزَّة الله ورحمته تأكيدٌ على قوَّة الله وقهرِه لأعدائه، ورحمتِه بأوليائه، وهو تعقيبٌ معهودٌ في السّورة بعد عرض الآيات والتَّكذيب.

مناسبة ذكر عنوان الرُّبوبيَّة:

الإيماء إلى الوعدِ بالرِّعاية والتَّربيّة والإحسان

ناسب سياق الآية ذكر عنوان الرّبوبيّة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾، أي: المُحسن إليك بإعلاء أمرك، واستنقاذ النّاس من ظَلام الجهل على يَديك[3]، فهو الذي خلقك، وقام برُبوبيَّته لحمايتك، وهو الحيُّ القيّوم، العزيز، الغالب، الرَّحيم، فيما يعمل ممّا يسوء الظّالمين ويكافئ المحسنين[4].

دلالة إضافة لفظ الرُّبوبيّة إلى الضَّمير:

أُضيف لفظ الرّبوبيّة إلى ضمير المخاطَب المقصود به رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ لِتَشريفِه والعِدَةِ الخَفيَّةِ بالانتقامِ مِن الكفَرةِ[5].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 45.
(2) الدَّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 7/ 80.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 46.
(4) محمَّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 10/ 5362.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 235، والجاوي، مراح لبيد: 2/ 150.

غَرَضُ توالي المؤكِّدات:

الاعتناءُ بشأن الخبرِ وتأكيدُ الوعيدِ المفهومِ منه

جاء النظم القرآني في ذِكْر عِزَّة الله ورحمته بِعِدَّة مُؤَكِّدات وهي: (إنّ)، واللّام، وضمير الفصل، فإن قال قائلٌ: الخِطابُ للنَّبيِّ ﷺ، وحالُه لا تقتضي التَّأكيد؛ لأنّه مُقِرٌّ، ومن قواعد البلاغة أنّه لا يؤكّد الكلام إلّا للمُتردِّد أو للمُنْكِر؛ فإن كان للمُتردِّد فهو استحسانٌ، وإن كان للمنكِر فهو وجوبٌ، فكيف أُكِّد الكلام بِكُلِّ هذه المُؤكِّدات مع أنَّ الخِطاب للنَّبيِّ ﷺ وهو مُقِرٌّ بذلك؟ **فالجواب**: أنَّ الشَّيء يؤكَّد باعتبار حال المخاطَب كما يؤكَّد باعتبار أهمِّيَّته، فإذا كان الكلام موضعَ اهتمامٍ فإنَّه يُؤكَّد - وإن كان المُخاطَب مقرًّا به -، لبيان اعتناء المتكلِّم به، والآية ذُكِرَت تسليةٍ للرَّسول ﷺ وتهديدًا للكُفّار، والكفّار قد يشكّون - أو ينكرون - في عِزّة الله ورحمته، فلهذا جمع بينهما مؤكّدًا[1].

نكتةُ تقديمِ صِفَةِ العِزَّةِ على صِفةِ الرَّحمةِ:

ترتيبُ الصّفات ملحوظٌ فيه معنى السّياق والارتباطُ بالمقام

قُدِّمت صفةُ العزيز على صفةِ الرّحيم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ومعنى الآيةِ أنَّه سبحانه الغالب على كُلِّ ما يُريده من الأمور التي من جُملتها الانتقام من المُكذِّبين[2]؛ فلَمّا كان المَوضِعُ مَوضعَ بَيانِ القُدرةِ، قدَّمَ صِفَةَ العِزَّةِ على صِفةِ الرَّحمةِ؛ فالرَّحمةُ إذا كانت عن قُدرةٍ كانت أعظَمَ وقْعًا[3]، ولأنَّه لو لم يُقَدِّمهُ لكان رُبَّما قيلَ: إنَّه رَحِمَهم لِعَجْزِه عن عقوبتِهم! فأزال هذا الوهمَ بذِكْرِ العزيزِ[4] ابتداءً، ثمَّ ثنَّى بذكر الرَّحيم.

سِرُّ اقتران الاسمين الجَليلين:

الجمعُ بين الترغيب والترهيب في أفعاله سُبحانه وتعالى

خَتَمَ اللهُ تعالى بعِزَّتِه ورحمتِه في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

(1) العثيمين، تفسير سورة الشُّعراء، ص: 148.
(2) المغراوي، الدُّرّ والبيان: 24/ 341.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 142.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 492.

ٱلرَّحِيمُ﴾؛ ليَجمعَ بيْنَ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ؛ فالتَّرهيبُ بالعِزَّةِ، والتَّرغيبُ بالرَّحمةِ؛ والجمعُ هُنا بينَ هاتينِ الصِّفتينِ للتَّناسُبِ البالغِ؛ لأنَّ مِن اجتماعِهما يحصلُ الكمالُ، فهو بعِزَّتِه ذو رحمةٍ؛ فلو قارنّا بينَ العزّةِ والرّحمةِ في صفاتِ المخلوقينَ لوجَدْنا أنَّهما لا يجتمعان في الغالبِ؛ وأنَّ العزيزَ الذي يَرى نفْسَه قاهرًا: في الغالبِ لا تكونُ فيه رحمةٌ، فاجتماعُ الصِّفتينِ يحصلُ بهما كمالٌ على الكمالِ، عِزَّةٌ ورحمةٌ، ثم اجتماعُهما كمالٌ، فيكونُ مع العِزَّةِ رحيمًا لا يُؤاخِذُ ولا يَنتقِمُ؛ ولهذا لم يُعَجِّلِ اللّهُ سبحانه وتعالى العقوبةَ للظّالمِ، ولكنَّه بحكمتِه يُملي له حتَّى إذا أخَذَه لم يُفْلِتْه، فإهلاكُ فرعون يقتضي أن يقابَل بالعزّة، وإنجاءُ موسى يقتضي أن يُقابَل بالرَّحمة لأنَّه من مُقتضاه[1].

(1) العثيمين، تفسير سورة الشُّعراء، ص: 37.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»